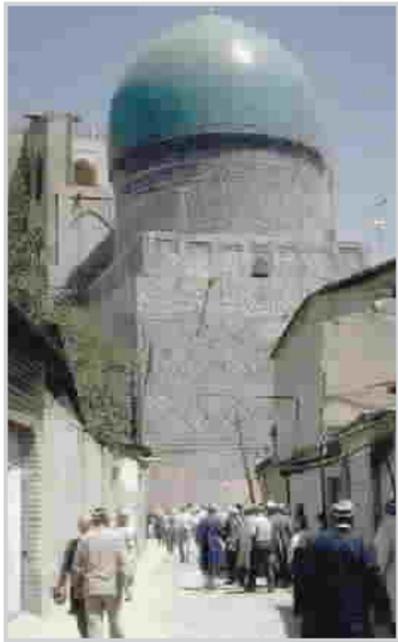


## منجز العمارة الاسلامية ( ٥ )

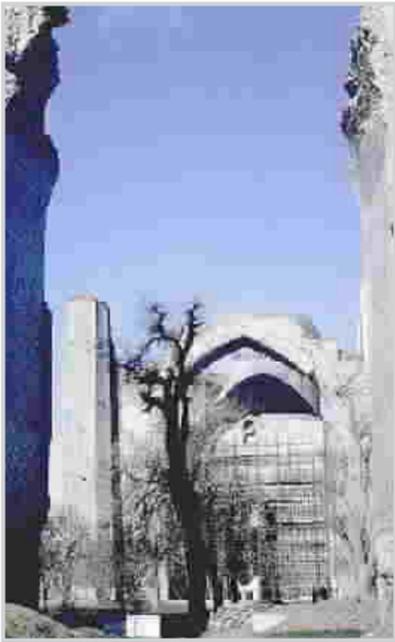
# عمارة المسجد الجامع الكبير في سمرقند مسجد (بيبي -هانم).. تمازج اللون مع الإنشاء



يشغل المسجد الجامع الكبير (مسجد بيبي -هانم) في سمرقند ، بـازبكستان في آسيا الوسطى ، والذي تم إنشاؤه عند تحوّم القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أهمية كبيرة ومؤثرة ضمن الفعاليات الأساسية للمشهد المعماري لمدينة سمرقند تلك المدينة التي أراد حاكمها وإمبرها تيمور أن تكون من أجمل مدن العالم وأكثرها ثراء وشهرة. وتمكس ممرسة بناء وتشبيد المسجد الجامع الكبير في وسط مدينة سمرقند ، وبمقاسات ضخمة تقليدا إسلاميا ، أضحي أمرا ما لوقفا وشانها في فعالية التمدن الإسلامي وفي قرارات بناء المدن ، فقد ظلت مقردة (المسجد الجامع) في النسيج العمراني تمثل النواة الرئيسية فيه مؤشرة معالم وخصوصية هذا النسيج ومدللة بمقاييسها البنائي المنتخب على سعة أطراف تلك المدينة ومقدار تعداد سكانها هكذا كان الحال ، سواء لجهة ممارسة إضفاء الطابع الإسلامي على المدن المأهولة التي تم فتحها من قبل المسلمين ، أو بتلك المدن التي قام المسلمون أنفسهم بتمصيرها وبنائها في الأراضي الحرة التي دخلت ديار الإسلام.



صورة من الجانب وتظهر قبة المسجد



الضخمة قبة شاهقة الارتفاع ليصل علوها في الخارج إلى ٤٤ مترا وبهذا الارتفاع فإن عنصر قبة مسجد "بيبي هانم" تلعب دورا مهما أساسيا في إضفاء خط سماء مدينة سمرقند منذ تشييد المسجد وحتى الوقت الحاضر، على الرغم من تصدع وانهار أجزاء كبيرة من قبة المسجد في الوقت الحالي وإلى جانب قبة الحرم الضخمة فثمة قبتان أخريتان واقعتان على امتداد المحور العرضي للمسجد: في فضاء مجنبتي المسجد، يشكل كل منهما هيئة بنائية تكرر عناصر القبة الرئيسية الموجودة في فضاء الحرم.

وعلى العموم، فإن المخطط المعماري لجميع قباب المسجد هو مخطط لمتماثل ومتشابه فالحجوم المكعبة الرحيبية تسند حجوما مكعبة أخرى أقل منها في الضخامة، وهذه تنتهي بتبديل اسطواني يحمل قبة ذات شكل نصف دائري من الخارج.

والجدير بالإشارة أن سقف القبة في مسجد "بيبي-هانم" من الداخل، هو أوطأ من الارتفاع العام لها (للقبة) من الخارج؛ أي أن هناك سقفا ثانويا يفضل بين سقف ارتفاع القبة الأصلي عن سقف فضائها الداخلي، وهذه المعالجة تراها شائعة جدا ليس فقط في مباني سمرقند المهمة وإنما في معظم الآثار الإسلامية الضخمة التي يلجأ مصمموها إلى استخدام أسلوب التسقيف القبابي.

وبهذه المعالجة الفريدة، فإن المعمار المسلم يحصل على تأكيد لعنصر القبة وبالتالي المبني كله واعتباره معلما رئيسيا في المدينة الواقع فيها ذلك المبني؛ في الوقت ذاته الذي يمنح الفضاء الداخلي الذي يحده السقف الثانوي ارتفاعا كافيا، يتناسب وطبيعية ووظيفة هذا الفضاء...

إن وحدات المجمع المعماري Ensemble لمسجد "بيبي-هانم" مبنية على اقتراحات متداخلة بين الأشكال المعمارية والاستخدامات اللونية. فثمة وحدة بنائية؛ نجدها مكررة في جميع العناصر التصميمية للمسجد، وهذه الوحدة تعتمد على توظيف منظومة المقياس التناسبي والتي بإمكانها أن تسهم في توضيح الأبعاد بصورة واضحة، عندما تستخدم بطريقة معينة، إلى جعل بعض عناصر المسجد تبدو بمقاسات

عميقة تغطي فضاءً واسعاً، وهذا الفضاء الفسيح يتلاءم مع خصوصية المكان كونه الفضاء الرئيسي لأداء الصلاة. وجميع الأروقة سواء كانت هنا في الحرم أم في الجنبتين أم في المؤخرة من المسجد الكبير تتألف من أعمدة ممرية تسند قباباً صغيرة تكون سقف المسجد.

في كثير من تخطيطات المساجد الجامعة يتم الانتقال من الصحن إلى الحرم عبر مداخل واسعة تخترق الجدار الفاصل بينهما (أي مبنى الحرم والصحن)؛ ولكن في حالة مسجد "بيبي-هانم" يتم الانتقال بين الفضائين عبر إيوان لبوابة عالية وضخمة؛ تكرر بتشكيلاتها الهندسية عناصر المدخل الرئيسي للمسجد من حيث ضخامة الكتلة البنائية، والعقد الكبير المحاط هنا، بأبراج مضلعة وكذلك في تشابه طبيعة ونوعية التزيينات المستخدمة في كلتا البوابتين.

يقود المدخل إلى قاعة رحيبية داخل الحرم خالية تماما من الأعمدة التي زرعت بواسطتها أقسام الحرم الأخرى؛ وهذه القاعة ذات شكل هندسي منتظم تسند جدرانها

١٤٠٤، ودعاها سكان مدينة سمرقند وضواحيها باسم مسجد "بيبي-هانم" على اسم زوجة الأمير تيمور- الأثيرة لديه، والتي ساهمت هي نفسها بشكل فعال في بناء وتعمير المسجد.

يشغل مسجد "بيبي-هانم" مساحة واسعة، لم يعرفها أي مبني شيد في مدينة سمرقند من قبل، إذ شكلت أطوال المسجد إبعادا قدرت بـ ١٤٠×١٤٠ مترا تقريبا ؛ ويعيد الحل التكويني؛ الصيغ التي سبق وأن اختيرت عناصرها سابقا، في منشآت أخرى مماثلة أو قريبة له معماریاً كإبنية المدارس أو الخانات. وتشمل تلك العناصر "الصحن" وهو عبارة عن ساحة وسطية مكشوفة؛ تحيط بها الأروقة من جميع الجهات؛ وعلى امتداد المحور الطولي للمبني يقع المدخل الرئيسي للمسجد معبرا عنه بكتلة بنائية تبرز عن حدود جدار المسجد المحيط وتحف به أبراج دائرية كما يخترق تلك الكتلة عقد مديب ضخم مفتوح كناية عن بوابة المسجد. وثمة أربعة منابر دائرية عالية ورشيقة تقع في أركان المسجد الأربعة. يتشكل حرم المسجد من أروقة



صورة من الجو للمسجد

لوضوح العناصر التكوينية وضخامتها وجمالية السيوليت Silhouette. ووسع الفضاء الداخلي ووبرق الزخارف التشكيلية.

عندما زرت مسجد "بيبي هانم" بداية السبعينيات، لأغراض تتعلق بنوعية دراستي للعمارة الإسلامية، أهدشتني ألفة المكان؛ وحداقة العمل المهني، وغزارة الزخرفة، وإنسانية المقياس المعماري المنتخب؛ على الرغم من ضخامة العناصر الإنشائية، واتساعها، وما برحت أن رددت مع الشاعر شرف الدين يزيدي أحد شعراء القرن الخامس عشر ومعاصري مسجد "بيبي -هانم" في وصفه مسجده المحبب بما معناه :

لولا أن قبة السماء لم تكرر هيئتها ،  
لدامت قبة المسجد لا نظير لها ؛  
وإن عقده العاني على الأرجح كان وحيدا؛  
لولا أن درب التبانة لم يكن له مماثل. ١٠ ٩٩

مدرسة العمارة / الأكاديمية الملكية  
الدايمركية للفنون

والتضفير الهندسي، فضلا عن تكوينات الخط العربي كان لها جميعا حضور مميز في المعالجات التزيينية للمسجد، وكانت نماذجها اللونية تغطي وحدات الهيكل الأنشائي بأكمله.

ولم يقتصر الفعل التلويني على السطوح الخارجية، وإنما شمل أيضا تزيينات الفضاء الداخلي للمسجد فجات فضاءات الحرم والقرافات المسقفة الأخرى تثير الدهشة لفضلة القرار التصميمي المنطوي على رهاقة التناسب وشراء الديكور والأحاسس بالفضاء الضيق .

لقد اثرت القرارات التصميمية لعمارة المسجد الجامع الكبير في سمرقند- مسجد "بيبي-هانم" بحلولها التكوينية وتوظيفات الزخرفة الكثيفة أثرت على جميع المعالجات التصميمية والتخطيطية للمسجد الجامع التي أنشئت بعد مسجد "بيبي-هانم" في عموم منطقة وراه النهر ياسيا الوسطى.

وعلى الرغم من التخريب الواسع والهدم المستمر الذي رافق تاريخ المبني، فإن مسجد بيبي هانم لا يزال يمتلك قدرة كبيرة على التأثير نظرا

متوازعة، تتناسب مع طبيعة أهدافها ووظيفتها عندما تستخدم تلك المنظومة بأسلوب آخر.

ويظل القرار التصميمي الخاص ، المتمثل بحضور الاستخدامات الواسعة " للون " والتلوين في عمارة مسجد "بيبي -هانم" ، يظل يمثل أمرا غاية في الأهمية والأثارة فالأثر اللوني الناجم عن توظيفات الرقش "الأرابيسك" والذي يغطي سطوح جميع عناصر المبني بدءا من تلوينات الجدران المحيطة وحتى مسطحات القباب التي كسيت باللون الأزرق الفيروزي؛ تجعل من مبني المسجد ذاته قطعة فنية ملونة، فريدة من نوعها؛ وإذا أخذنا في نظر الاعتبار فقر المناخ اللوني للبيئة المحيطة بالمسجد؛ فإن المره بمقدوره بسهولة أن يدرك مدى الاحساس الذي يتركه الأثر اللوني وفعله في المعالجات التصميمية- الفنية لمسجد "بيبي-هانم" !!

لقد تم استخدام الرقش بوحداته النباتية والهندسية بصورة مركزة وكثيفة على جميع السطوح البنائية للمسجد. فالتوريق النباتي المتواضع، تتناسب مع طبيعة أهدافها ووظيفتها عندما تستخدم تلك المنظومة بأسلوب آخر.

## فونتر غراس: هناك أسئلة أخرى أجيب عنها لاحقا

الاسبانية، رد غراس على منتقديه، معتزفاً بأنه (ربما) كان انخرط في أعمال تقع تحت طائلة (جرائم حرب) إذا كان ، وقتئذ، أكبر سناً.

ويقول غراس: "كنت يافعا، وكنت اريد ترك المنزل قليلا، كنت متوافقا مع الفكرة" ثم قال المزيد عن تلك المرحلة من حياته وكيف انه كان في السابعة عشرة من عمره، ايان المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، مستطردا:

"كنت اعتبر الحرس الوطني إس إس، وحدة خاصة بالنخبة، ولو كنت ولدت قبل ثلاثة او اربعة اعوام، لكنت وجدت نفسي، معتقلا بتهمة جرائم الحرب. ظل غونترغراس يخفي هذه المرحلة من حياته، والتي سردها اليوم ضمن سيرته الذاتية، بعد ان ظلت مكبوتة في أعماقه ستة عقود من الزمن، بفعل احساس داخلي بالخلج منها، ويعترف غراس قائلا كل ما نشر حول الحرس الوطني والجرائم

الاسبانية، رد غراس على منتقديه، معتزفاً بأنه (ربما) كان انخرط في أعمال تقع تحت طائلة (جرائم حرب) إذا كان ، وقتئذ، أكبر سناً.

ويقول غراس: "كنت يافعا، وكنت اريد ترك المنزل قليلا، كنت متوافقا مع الفكرة" ثم قال المزيد عن تلك المرحلة من حياته وكيف انه كان في السابعة عشرة من عمره، ايان المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، مستطردا:

"كنت اعتبر الحرس الوطني إس إس، وحدة خاصة بالنخبة، ولو كنت ولدت قبل ثلاثة او اربعة اعوام، لكنت وجدت نفسي، معتقلا بتهمة جرائم الحرب. ظل غونترغراس يخفي هذه المرحلة من حياته، والتي سردها اليوم ضمن سيرته الذاتية، بعد ان ظلت مكبوتة في أعماقه ستة عقود من الزمن، بفعل احساس داخلي بالخلج منها، ويعترف غراس قائلا كل ما نشر حول الحرس الوطني والجرائم

الاسبانية، رد غراس على منتقديه، معتزفاً بأنه (ربما) كان انخرط في أعمال تقع تحت طائلة (جرائم حرب) إذا كان ، وقتئذ، أكبر سناً.

ويقول غراس: "كنت يافعا، وكنت اريد ترك المنزل قليلا، كنت متوافقا مع الفكرة" ثم قال المزيد عن تلك المرحلة من حياته وكيف انه كان في السابعة عشرة من عمره، ايان المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، مستطردا:

"كنت اعتبر الحرس الوطني إس إس، وحدة خاصة بالنخبة، ولو كنت ولدت قبل ثلاثة او اربعة اعوام، لكنت وجدت نفسي، معتقلا بتهمة جرائم الحرب. ظل غونترغراس يخفي هذه المرحلة من حياته، والتي سردها اليوم ضمن سيرته الذاتية، بعد ان ظلت مكبوتة في أعماقه ستة عقود من الزمن، بفعل احساس داخلي بالخلج منها، ويعترف غراس قائلا كل ما نشر حول الحرس الوطني والجرائم



غونتر غراس .. صورة خاصة بالدي

## عربيان في قائمة جائزة مان بوكر للادب الانكليزي

تنشرها دار وليم هاينمانكان حيث نشر رواية (الصبي) الأولى في اعماله عام ١٩٩٨، وقالت صحفية الفاياناشال تايمز عن الرجل المثالي، أن نعيم مر نجح في مهمته لأنه كتبها بتقنية عالية المستوى وان شخصياته بارعة في الايجاز.

ولد هشام مطر في نيويورك لأبوين ليبينيين، وعاش طفولته متنقلا بين ليبيا ومصر، واختار لندن مكانا لاقامته منذ ١٩٨٦ ويتناول هشام في روايته الأوضاع السياسية في بلده.

أما الروائي اللبناني نعيم مر فقد نشر رواية ؟الصبي؟ الأولى في اعماله عام ١٩٩٨ ، وستنشر رواية الرجل المثالي في الولايات المتحدة العام المقبل ، واختارت (نيويورك تايمز) روايته الأولى (الصبي) كتابها المفضل وحاز جائزة (لمبادا) الأدبية الأميركية وترجم من عدة لغات ، كما كتب نعيم مر رواية (عبقرية البحر) التي نشرت عام ٢٠٠٣، وحاز نعيم مر عدة جوائز ادبية لأعماله الروائية وغير الروائية، وكذلك العديد من المراكز الأدبية في العديد من الجامعات الأميركية، مثل ميزوري

وميتشغان وسانفرود. ولد نعيم مر في لندن لأب لبناني وأم انجليزية، وانتقل مع والدته للعيش في لندن بعد وفاة والده في حادث سيارة خلال عمله كمهندس في ليبيا، ويعيش الروائي حاليا في شيكاغو.

أما بخصوص الجائزة التي تصل قيمتها إلى ٥٠ الف جنيه استرليني، فتشير التوقعات إلى أن واحدا من ثلاثة مرشحين قد يفوز بالجائزة من القائمة المختصرة (ست روايات) ، وهم سارة ووترز، التي وصلت إلى المرحلة النهائية للجائزة (القائمة القصيرة) عام ٢٠٠٢، وبيتر كيري والمفضل ديفيد ميتشل.

عربيان في قائمة جائزة مان بوكر للادب الانكليزي

تنشرها دار وليم هاينمانكان حيث نشر رواية (الصبي) الأولى في اعماله عام ١٩٩٨، وقالت صحفية الفاياناشال تايمز عن الرجل المثالي، أن نعيم مر نجح في مهمته لأنه كتبها بتقنية عالية المستوى وان شخصياته بارعة في الايجاز.

ولد هشام مطر في نيويورك لأبوين ليبينيين، وعاش طفولته متنقلا بين ليبيا ومصر، واختار لندن مكانا لاقامته منذ ١٩٨٦ ويتناول هشام في روايته الأوضاع السياسية في بلده.

أما الروائي اللبناني نعيم مر فقد نشر رواية ؟الصبي؟ الأولى في اعماله عام ١٩٩٨ ، وستنشر رواية الرجل المثالي في الولايات المتحدة العام المقبل ، واختارت (نيويورك تايمز) روايته الأولى (الصبي) كتابها المفضل وحاز جائزة (لمبادا) الأدبية الأميركية وترجم من عدة لغات ، كما كتب نعيم مر رواية (عبقرية البحر) التي نشرت عام ٢٠٠٣، وحاز نعيم مر عدة جوائز ادبية لأعماله الروائية وغير الروائية، وكذلك العديد من المراكز الأدبية في العديد من الجامعات الأميركية، مثل ميزوري

وميتشغان وسانفرود. ولد نعيم مر في لندن لأب لبناني وأم انجليزية، وانتقل مع والدته للعيش في لندن بعد وفاة والده في حادث سيارة خلال عمله كمهندس في ليبيا، ويعيش الروائي حاليا في شيكاغو.

ومن الجدير بالذكر انه في عام ١٩٩٩ تنافست الروائية المصرية اهداف سوييف برواية خريطة الحب ولم تتمكن فقط من وصول المرحلة النهائية، وإنما كانت مرشحة قوية للفوز بالجائزة.

الروائي اللبناني نعيم مر، الذي لم يحافظه الحظ في وصول القائمة القصيرة، دخل المنافسة في القائمة الطويلة برواية الرجل المثالي، التي

### مجلة عراقية

## (مدارك) ملف عن العنف في العراق

عروض:الصدى الثقافي

صدر العدد الثالث من مجلة "مدارك" عن مركز (مدارك) للبحوث والدراسات وضع العدد ملفاً عن (العنف في العراق بين التاريخ الممتد والصحوة الطارئة) والملف يمثل وقائع الحلقة النقاشية التي نظمتها المؤسسة وشارك فيها عدد من الأساتذة الجامعيين والباحثين مثل متعب مناف جاسم، واسماء جميل رشيد، ومزهر جاسم الساعدي وحسين فاضل وهيب ود.قيس النوري واحمد عبد الحسين وحسين درويش العادلي، وقدمت خلالها مجموعة من الأوراق البحثية عن العنف مثل (العنف الأهلي في العراق) لليبياحسة أسماء جميل رشيد و(الرياح الطائفيّة السياسيّة) لليبوسف محسن، و(الخطيئة والقربان... عن الجهاد وتقديس الغريزة) لأحمد عبد الحسين.

كما ضم العدد دراسات وبحوثاً عالجت العديد من الاشكاليات الفكرية والثقافية والاجتماعية، ففي القسم المعنون (مدارك الفكرية) نشرت المجلة (الحدأةة والمجتمع التقليدي) للباحث باسم علي خريسان و(الاسلام والدولة.. في المجتمع العربي المعاصر) لمشحن زيد محمد التميمي.

وترجم خضير اللامي (الحواجر الاجتماعية) ونظرية الحكم في الاسلام) لسعد علي حياوي و(دور العوامل الاجتماعية في التنمية لسكان في العراق) لمشحن زيد محمد التميمي.

وتترجم خضير اللامي (الحواجر الاجتماعية) ونظرية الحكم في الاسلام) لسعد علي حياوي و(دور العوامل الاجتماعية في التنمية لسكان في العراق) لمشحن زيد محمد التميمي.

وتترجم خضير اللامي (الحواجر الاجتماعية) ونظرية الحكم في الاسلام) لسعد علي حياوي و(دور العوامل الاجتماعية في التنمية لسكان في العراق) لمشحن زيد محمد التميمي.

